المركز العربي للمعلومات

Safir
23/12/92

معرض الفنان شفيق عبود في صالة «جانين ربيز»:

تكثيف وشفافية يؤديان إلى التباسات جميلة

قد يكون معرض الفنان التشكيلي اللبناني شفيق عبود من المعارض التي استحوذت اهتمام المشتغلين بالفن والمثقفين والمتابعين حركة التشكيل عندنا، ذلك ان صاحب لوحات المعرض احد الفنانين اللبنانيين الذين اثبتوا عالميتهم، من خلال المشاركة في عدد كبير من المعارض الاوروبية والعالمية، ومن خلال حضوره اللافت في باريس، مرجع الفنون التشكيلية طوال قرن من الزمن على الاقل.

ولأن شفيق عبود انقطع عن بيروت سنين طويلة، من دون أن يشارك حتى في معارض تشكيلية جماعية لبنانية اقيمت في صالاتنا.

ضم المعرض، الذي يستمر في «صالة جانين ربيز» لغاية ٧ كانون الثاني المقبل، ستاً وعشرين لوحة، استخدم فيها الفنان التلوين الزيتي بشكل اساسي، مضيفاً اليه، في عدد من اللوحات، الباستيل والتامبرا ومواد مختلطة.

ان حساسية وجود معرض شفيق عبود في بيروت، هي في انه مناسبة للتعرف من قرب الى تلك المرجعية الفنية التي قيل حديث كثير عن تأثر فنانين شبان بها، خلال وجودهم في فرنسا. ولا نتكلم هنا بالضرورة على تأثر سلبي، اذ ان اسلوب الفنان الرائد ربما كان حافزاً، الى توجيه اولئك حيث اختاروا وصوروا ولونوا. فماذا في مرجعية شفيق عبود من خلال مشاهدتنا لأعماله المعروضة؟

فضاء

ما رأيناه في معرض عبود، يمكن أن نفنده في ثلاثة اتجاهات، اولها غنائيته التجريدية، في لوحة مشغولة باحجام مختلفة، يضع فيها اسلوبه التجريدي المعروف الذي لا يلغي الشكل والواقع، وثانيها، ما تمثل في ثلاث لوحات كولاج بدت مختلفة عن سواها، وثالثها، لوحتان مجزأة الواحدة منهما الى عدة اقسام منفصلة ومتكاملة في آن، تتميزان عن لوحات المعرض الاعم بأنهما اكثر وضوحاً وانشداداً الى الشكلية.

لافت في المعرض، من خلال مشاهدة بصرية سريعة للوحات، تلك الشاعرية اللونية التي لا تتنافر مع العين، لابل تأخذها الى قدرات اللون على التأثير بها والاستحواذ عليها. ولعل ذلك يشكل مستوى اول من مستويات اللوحة، يأتي بعده مستوى آخر، يتمثل بالاشكال الموجودة في اللوحة، والتي هي عبارة عن ايحاءات رمزية، تؤكد وجودها من خلال حركتها في فضاء اللون الاساسي في اللوحة، اذ تبدو اللوحة عامة وكأنها احادية اللون، او يغلب عليها لون واحد، يشكل فضاء للاشكال السابحة فيه، والتي لا يحتاج بعضها الى كثير تمعن للوصول الى فك

رؤية بصرية

الشكل الذي يقدمه شفيق عبود في لوحته، والذي يأخذ تجريديته اللونية العامة الى ذلك التداخل بالشكلية، نراه في مستويات مختلفة اذاً، فهو يكاد يختفي تماماً، ويتحول الى مجرد علامات لونية شديدة الالتباس تخدم التأليف العام للوحة، وتؤسس لرؤية بصرية حركية ناجحة. ومرة ثانية تكون اقل التباساً، بل ان فك رموزها لن يحدث صعوبة شديدة. ومرة ثالثة يكون التمثيل واضحاً، برغم تجريديته التي تقف عائقاً، ويمكن تفصيل علاماته، وان كان اقل وضوحاً من تلك الاشكال البارزة في اللوحات المركبة من اقسام عدة، كما ذكرنا.

في احدى اللوحات «قاطع من جبل» نرى، بشكل قريب من الوضوح والصراحة التصويرية، اجزاء الجبل وتقسيمات الارض، من خلال حدود المساحات اللونية المتجاورة. كما ان لوحات المنظر الطبيعي بارزة في مقاربتها المشهد، وان كان بعضها اميل الى التعبير او الترميز باللون بدلاً من الشكل، فنلاحظ الوان الطبيعة، بكل ما فيها من زهو وربيع وجمالية، من دون ان تبرز الاشكال الطبيعية.

التباس جميل

ان اللعبة التي يقدمها شفيق عبود في لوحات المعرض، تتمثل بالغموض الجميل، الذي يتأرجح بين اظهار واحجام الواقع، اوبذلك الالتباس الجميل بين التجريدية والشكلية. فميدان اللعب هو تلك المسافة التي تفصل بين هيئة الشكل ولون.

نشعر دائماً بالمدى الرحب في اللوحة، حتى ولو سمى الفنان لوحته «غرفة»، ذلك ان لوحة شفيق عبود مفتوحة على حلم ورؤيا، وتذهب من خلال فضائها الى تأملات روحانية، كلما ابتعد عن حسية المشهد وواقعيته، وكلما حولت هذا الواقعي الى حركة تفيض عنه، وتذهب به، متخطية حدوده الحسية، الى البحث عن اسراره، وعما ينطوي عليه من سحر وعشق روحاني.

ولعل هذه الافاضة من النور، الذي يلقيه الفنان على الوان لوحاته، تغني هذه الروحانية، كماتضفي جواً قريباً من شرقية المشهد. فهو يستخدم الابيض والاصفر، ويلهب لوحته احياناً كثيرة بالبرتقالي والاحمر. وبعيداً عن الازرق، فالفنان يكثر من هذه الالوان اضافة الى الاخضر. وما تساعد في ابرز شرقية اللوحة، تلك الفضاءات الواسعة التي يفتحها امامنا، والتي تذهب الى تدرجات في ارتحال العين الى الأغوار.

شفافية المادة السميكة

وبالفعل، فان اسلوب وضع اللون الواحد، الذي يعتمده الفنان احياناً كثيرة، يبتعد عن التسطيح، موحياً بأبعاد داخلية. وهذا ما يحتاج الى تراكيب لمساحات لونية تتداخل، وتترائى الواحدة منها تحت الاخرى، بل يحتاج الى تلك الضربات اللونية المكثفة التي ينهي بها السطح الاعلى في عدد من اللوحات. هذه الضربات تعرض وتضيق حتى تتحول احياناً الى ما هو قريب من الرقش والاسلبة.

ما يضيف في تكثيف الايحاء بالتضاريس الداخلية في لوحته، تلك الضربات التي تسمك مرات كثيرة، فتضعنا امام زوايا وثنايا في المادة اللونية. من جهة ثانية، فان اسلوبه في وضع المادة اللونية الذي يسمح بابراز تداخل الالوان وشفافيتها، حتى في تلك المادة السميكة، يجعلنا نشعر أيضاً بالابعاد، ويجعلنا، مرة اخرى، نغوص في المادة اللونية نفسها.

ولعل الشفافية التي يبرزها شفيق عبود تكمن ايضاً في المادة نفسها، لا في خطوطيتها وتراكب مساحاتها، اذ نلاحظ ان معالجة المادة اللونية تجري على القماشة، مما يبرز تداخل الالوان وتناسلها بحساسية مرهفة، وبروح توليدية مركزة ومكثفة في مساحة اللوحة. فان اهم ما يمكن الكلام عليه، في لونية الفنان، تلك الحساسية المرهفة التي يؤكدها في تداخل الوانه وتمازجها، حتى اننا نشعر بذلك التعشيق البليغ للالوان، بحيث لا تتنافر المساحات اللونية، المتجاورة، ولا تتداخل في حال حوارية صراعية او درامية، لان الفنان يحرك مشهدية اللوحة باساليب اخرى، تعتمد اكثر على اسلوب ضرباته اللونية، التي تحمل معها الحركة، من خلال ابتعادها عن الاتجاه الافقي، واماتتها الشاعرية الاكثر ايحاء، اضافة الى أن المساحات اللونية التي ترمز للاشكال داخل فضاء اللوحة، فانها توحي بثقلها في ذلك الفضاء، وبحركتها الهابطة من اعلى الى اسفل، بعيداً عن أي سكونية او هدوء.

أكاديمية ومزاج

لا تمنع غنائية الالوان في لوحة عبود وشاعرية الحركة والدراسة التأليفية، التي تراعي الاستجابة لجمالية بصرية، من حرية تبرز في عدد من اللوحات، تجعله يوازن بين ثقافة عين المشاهد او اكاديمية المشهد، وبين الانحياز الى مزاج لوني وخطي وانفعالات وتوترات خاصة.

واذا كنا تكلمنا على تجريدية المساحة اللونية لدى شفيق عبود، فان تلك تتجه الى تكثيف وجدل لوني يحولان المساحة الى نوع من النسيج، الذي يستخدم فيه الفنان بدل الخيوط مواد طرية، يداخل فيما بينها، ويمازجها بصبر ورهافة وحساسية.

يضعنا شفيق عبود في معرضه البيروتي امام تجربة عريقة في التجريد اللوني، وامام ما وصل اليه من تآلف اللعبة الفنية مع الجديدة في نسيج الوانه واضوائه.

احمد بزون